المجلة التاريخية الجزائرية
ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664
المجلد:05، العدد:01 (2021)، ص514-530

العمل المسلح في الجزائر أثناء الحرب العالمية الأولى وعلاقته بالدعاية الألمانية التركية

Armed action in Algeria during the First World War And its relation to the German Ottoman propaganda

عبد القادر بلجة
جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس (الجزائر)
beldjaabdelkader68@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2021/05/21
تاريخ القبول:
2021/06/10

الكلمات المفتاحية:
- ✓ الثورات الشعبية
- ✓ الفارون من الجيش
- ✓ الدعاية الألمانية التركية
- ✓ غليوم الثاني

الملخص:

شهدت الجزائر خلال الحرب العالمية الأولى حركات احتجاجية نتيجة الحصار الشديد على الجزائريين من خلال تجديد قانون الأهالي، ودعم سلطة الحاكم العام بإجراء المحاكم الرادعة، وقرار فرض التجنيد الإجباري، فضلا على إعلان حالة الطوارئ. من جهة أخرى، كانت ألمانيا تدّعي أنها منقذة الإسلام، فضلا على أنها حليفة الدولة العثمانية رمز الخلافة الإسلامية التي دعت بدورها إلى الجهاد المقدس ضد الفرنسيين أعداء الدين الإسلامي، وعليه وجدت الجزائر نفسها لأول مرة منذ احتلالها أمام معسكر الأعداء، والثاني للأصدقاء. في هذا المضمون تأتي هذه الدراسة لتبين السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر في هذه الفترة، ودورها في ظهور الحركة الاحتجاجية الشعبية، وما علاقة الدعاية الألمانية العثمانية بذلك؟

Article info

Received:
21/05/2021
Accepted:
10/06/2021

Key words:
- ✓ Popular revolutions
- ✓ Fleeing the army
- ✓ German-turkish propaganda
- ✓ Guillaume II

Abstract:

During the First World War, Algeria experienced protests following the severe blockade of Algerians by renewing the code of indigénat, supporting the authority of the governor general by organizing deterrent courts and deciding to impose conscription, in addition to declaring a state of emergency. On the other hand, Germany claimed to be a saviour of Islam, in addition to being an ally of the Ottoman Empire, a symbol of the Islamic Caliphate, which in turn called for sacred jihad against the enemies of the Islamic religion. In this context, this study highlights French colonial policy in Algeria during this period, and its role in the emergence of the popular protest movement, and what is the relationship of German-Ottoman propaganda to this?

العمل المسلح في الجزائر أثناء الحرب العالمية الأولى وعلاقته بالدعاية الألمانية التركية

مقدمة

عندما بدأت الدول الأوروبية استعداداتها في مطلع القرن العشرين تحسبا لاندلاع حرب أوروبية، خشيت السلطات الاستعمارية أن يغتنم الجزائريون فرصة انشغال فرنسا ليعلنوا استقلالهم خاصة وأن الغليان الشعبي بلغ الذروة في هذه الفترة بسبب قرار التجنيد الإجباري للشباب الجزائري، وبدلا من تلبية مطلب الجزائريين وتخليها عن هذا القرار، واتخاذ إجراءات التهدئة في هكذا ظروف، قامت إدارة الاحتلال بتشديد الحصار على الجزائريين من خلال العمل بقانون الأهالي، ودعم سلطة الحاكم العام بإجراء المحاكم الرادعة، وفرض قانون الطوارئ للحفاظ على مستقبل المستعمرة لدورها الاستراتيجي خاصة في زمن الحرب.

بالمقابل تحولت الجزائر في العقدين الأولين من القرن العشرين إلى ميدان للنشاط الدعائي الألماني العثماني، فالأولى ادعت أنها منقذة الإسلام من البلدان الاستعمارية، أما الثانية وبفضل وزنها الروحي كرمز للخلافة الإسلامية وقيادتها لحركة الجامعة الإسلامية، فقد دعت إلى الجهاد المقدس ضد المحتلين الفرنسيين أعداء الدين الإسلامي، وبالتالي فإن السؤال الذي يطرح نفسه هو: **هل منحت الحرب العالمية الأولى للجزائر فرصة الاختيار التي كانت غائبة منذ سنة 1830 بوضعها أمام معسكرين؟** معسكر الأعداء ومعسكر الأصدقاء[1].

في هذا الإطار، ستركز هذه الدراسة على مدى استغلال الاحتلال الفرنسي لثروات الجزائر خدمة لمصالحه أثناء حرب 1914-1918، **وما هي أشهر الحركات الاحتجاجية الشعبية العنيفة؟ وما علاقة ألمانيا والدولة العثمانية بم حدث في الجزائر في هذه الفترة؟**

1. المجهود الحربي للجزائر 1914-1918

فرضت الحرب العالمية الأولى حالة تعبئة عامة لدى الدول الأوروبية وشعوبها، فعندما أعلنت ألمانيا الحرب على فرنسا في 03 أوت 1914، كانت هذه الأخيرة قد أعلنت من جهتها التعبئة العامة عبر كامل ترابها الوطني، وفي جميع مستعمراتها بقرار من رئيس الجمهورية الفرنسية **ريمون بوانكاري R. Poincaré** في 02 أوت 1914، وبمقتضى هذا المرسوم الرئاسي تم تسخير الثروات البشرية والمادية للمستعمرات، ومنها الجزائر خدمة لمصلحة الجيش الفرنسي في الحرب.

1.1. تعبئة الموارد البشرية

إلى غاية سنة 1912 كان التحاق بعض الجزائريين بالجيش الفرنسي يتم عن طريق الانخراط (التجنيد الطوعي)، حيث سعت قيادة جيش الاحتلال من وراء ذلك إلى تشكيل فرق عسكرية من الأهالي الجزائريين لغزو مختلف مناطق البلاد بأقل تكلفة ممكنة، ومن هذه الفرق نذكر فرقة الزواف، فرقة المخزن، القومية، فرقة الصبايحية، والرماة الجزائريين. لم يتوقف استغلال الطاقات البشرية الجزائرية من طرف جيش الاحتلال عند هذا الحد، بل عمل على تجسيد مشروع فرض الخدمة العسكرية على الشباب الجزائري[2] حيث بعث النائب ميسيمي Messimy-مقرر لجنة ميزانية الحرب- رسالة إلى وزير الحرب الفرنسي ماري-جورج بيكاغ .M-G Picquart في سنة 1907 طالب من خلالها استغلال الجزائريين في إطار العسكرية الإلزامية قصد تعويض

العجز في تعداد الجيش الفرنسي الذي يقدر بـ 60 ألف جندي نتيجة تخفيض مدة الخدمة العسكرية للجنود الفرنسيين إلى سنتين بدلا من خمس سنوات بموجب قانون 21مارس 1905[3]. وسعيا منها لتجسيد مشروع التجنيد الإجباري للجزائريين عينت السلطات الاستعمارية ميسيمي وزيرا للحرب في 27 جوان 1911، الذي قرر في شهر جويلية من نفس السنة تشكيل ثلاثة فيالق من القناصة الجزائريين عن طريق الانخراط الطوعي، غير أن عزوف الشباب الجزائري عن الالتحاق بصفوف جيش الاحتلال بسبب الظروف الدولية السائدة (أزمة أغادير المغربية) حال دون ذلك، مما دفع بالحكومة الفرنسية إلى تعويض العجز بإقرار تطبيق التجنيد الإجباري على الجزائريين[4] .

لا شك في أن وزارة الحرب الفرنسية أرادت بهذا الإجراء أن تبين صعوبة تزويد الجيش بالرجال عن طريق الانخراط الطوعي، وأن تطبيق التجنيد الإجباري للجزائريين هو السبيل الوحيد لتغطية العجز الذي يعاني منه الجيش الفرنسي، ولهذا وقعت الحكومة الفرنسية على مرسومين للتجنيد الإجباري في31 جانفي، و03 فبراير 1912 الذي حدد مدة الخدمة العسكرية الإلزامية للجزائريين بثلاث سنوات مقابل منحة قدرها 250 فرنك[5] . وبعد الإعلان عن التعبئة العامة في أوت 1914، قرر الجيش الفرنسي في03 أوت 1914 فتح باب الانخراط، ورفع منحة المنخرطين إلى 200 فرنك (أي ما يعادل أجرة عامل يومي لمدة ستة أشهر)طيلة مدة الحرب، مستغلة الوضعية الاقتصادية والاجتماعية المزرية للجزائريين خلال هذه الفترة، ولذلك وصل عدد المجندين الجزائريين خلال شهري أوت وسبتمبر إلى 7000 رجلا، وحسب تقرير بخصوص حصيلة تجنيد الجزائريين، فإن العدد قد بلغ 146021 رجل منهم 84554 مجند اجباريا ضمن دفعت 1914-15-16-17- 1918، و61467 منخرط من 02 أوت 1914 إلى 30نوفمبر 1918[6]، ولهذا فإن عدد الجزائريين المجندين في الجيش الفرنسي خلال الحرب هو الأعلى مقارنة بأعداد المجندين من المستعمرات الفرنسية.

كما راهنت السلطات الاستعمارية من أجل الحفاظ على استمرار نشاط اقتصادها خلال فترة الحرب على جلب اليد العاملة من مستعمراتها لتعويض اليد العاملة الفرنسية في مصانع الحرب، فأصدرت قرارا في 15 جويلية 1914 لتشجع الهجرة نحو فرنسا، وأمام تراجع عدد العمال الفرنسيين نتيجة الخسائر البشرية التي تكبدتها فرنسا في السنوات الأولى من الحرب، قامت إدارة الاحتلال باستدعاء مسبق لدفعة 1917 العسكرية، وبذلك أضحى تجنيد العمال الجزائريين اجباريا أيضا لسدّ العجز في مصانع الدفاع الوطني الفرنسي، إذ بلغ عددهم في هذه الفترة 17000 عامل، ليصل المجموع طيلة فترة الحرب إلى 124298 عامل[7].

2.1. الموارد الاقتصادية

تعددت مجالات استغلال ثروات الجزائر من طرف السلطات الاستعمارية خلال الحرب العالمية الأولى، فبالإضافة إلى تسخير الطاقات البشرية خدمة لمصالحها، عملت على توجيه الإنتاج الزراعي وتعبئته لدعم المجهود الحربي، فقد أمرت بتكثيف زراعة الحبوب[8]، ليتحول ذلك إلى عبء جديد يُضاف إلى الأعباء التي أنهكت كاهل الفلاح الجزائري، كالجمود التقني، وتراجع الأراضي الفلاحية، وسوء المواسم الزراعية (1909-

1914)، وكثرة الضرائب المفروض، ونتيجة الاختلال الاقتصادي الحاد، بسبب صعوبة النقل، وقلة اليد العاملة في هذه الفترة، فإن المواد الاستهلاكية مثل السكر، الصابون، الزيت عرفت ندرة حادة، مما أدى إلى انتشار المضاربة في الأسواق، وارتفاع الأسعار على حساب القدرة الشرائية، إذ قفز سعر الخبز فيما بين 1914 و1916 بنسبة 20% وقرابة 50% في بعض المدن[9]. وهكذا أقحمت السلطات الاستعمارية الجزائر في الحرب خدمة لمصالحها، ومهما اختلفت المصادر في تحديد قيمة الثروات الجزائرية المستنزفة، فإن استغلالها كان متنوعا، من طاقات بشرية كجنود في جبهات القتال، وعمال في المصانع الحربية، إلى توجيه الإنتاج وزيادة الضرائب لدعم المجهود الحربي، وذلك على حساب حالة الشعب الجزائري الذي يعيش الفقر والبؤس نتيجة السياسة الاستعمارية الفرنسية.

2. العنف المسلح في الجزائر أثناء الحرب العالمية الأولى

إن استمرار الإدارة الاستعمارية في التضييق على الحريات المدنية من خلال منشور جونار Jonnart **في** سنة 1906، وتجديد العمل بقانون الأهالي، بالإضافة إلى قرار التجنيد الإجباري في سنة 1912 والزج بهم في حرب لا تعنيهم من جهة، وظهور صحافة وطنية للدفاع عن مصالح الجزائريين، ونشاط الدعاية العثمانية والألمانية تجاههم من جهة أخرى، أدى إلى تصعيد النضال الوطني بالاعتماد على العمل المسلح، حيث ظهرت احتجاجات اتسع نطاقها الجغرافي لتشمل أغلب مناطق البلاد كما هو موضح على الخريطة[10].

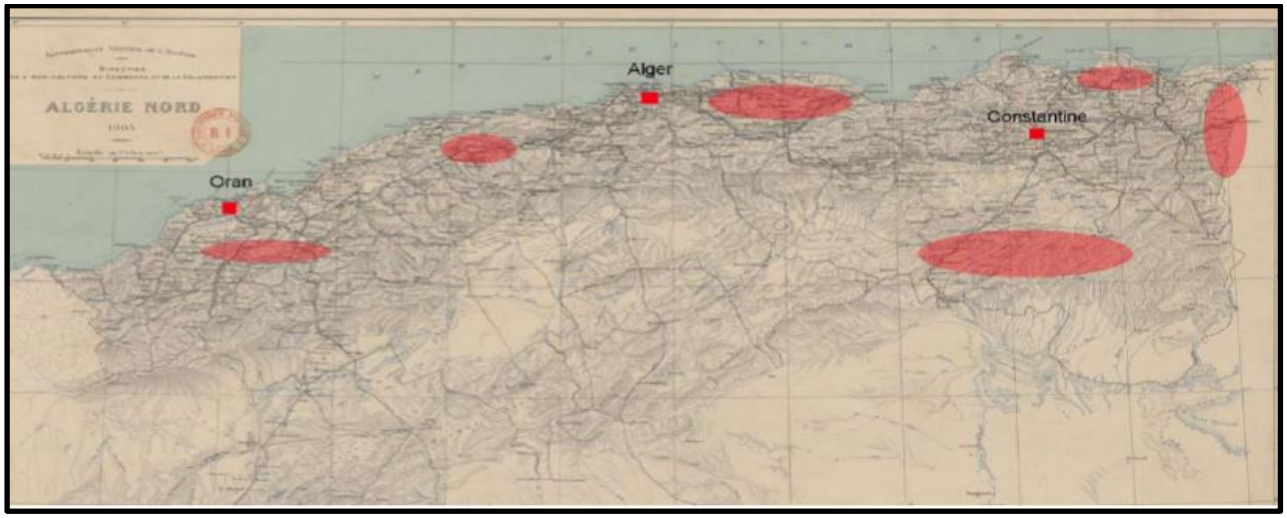

1.2. العمل المسلح في القطاع الوهراني

بدأت بوادر العمل المسلح قبيل الحرب العالمية الأولى بأعمال شغب في الشوارع، ومحاولات انتقام من رموز إدارة الاحتلال، كتلك التي شهدتها ندرومة في ليلة 20 إلى 21 ماي 1912 عندما عبّر بعض الجزائريين عن رفضهم للتجنيد الإجباري بالاحتجاج ضد ممثل الإدارة في منطقة جبالة، وفي يوم ماي 23 المصادف للسوق الأسبوعي للمدينة اتسعت الحركة الاحتجاجية بعد انضمام سكان المناطق المجاورة ليعلنوا الجهاد[11]، وهذا ما أشارت إليه جريدة الحق الوهراني الأسبوعية في العدد السادس والثلاثين حين أكدت أن أعيان ندرومة اجتمعوا في المسجد الكبير للتعبير عن معارضتهم لقرار الخدمة العسكرية الإجبارية، وفي سعيدة بدأت الاحتجاجات بعدما

قام أحد أعضاء لجنة القرعة بوصف المسجلين الجزائريين بـ "**الخنازير**"، مما أدى إلى وقوع اضطرابات[12]، وأمام هذه التطورات التي عرفتها عمالة وهران بعث الجيش الفرنسي في جويلية 1912 بفرقتين عسكريتين تحسبا لأي انفلات قد يحدث، وقصد السيطرة على الوضع[13].

ونتيجة للضغط الذي مارسته إدارة الاحتلال على الشبان الجزائريين لإرغامهم على أداء الخدمة العسكرية، ونقل أخبار الحرب من قبل الجرحى الجزائريين العائدين من جبهات القتال، فضلا عن نشاط الدعاية الألمانية العثمانية خاصة بعدما راجت إشاعات عن تواجد قوة تركية في تبسة، وألمانية في مستغانم، لجأ الشبان الجزائريين إلى الفرار والاعتصام بالجبال، إذ ذكرت الإحصائيات أن عدد الفارين في الفترة الممتدة من 01 أوت 1914 إلى سبتمبر 1916 بلغ 7415 مجند من مجموع 51561 بين متطوع ومُستدعى، أي بمعدل شاب واحد من بين سبعة شبان[14]، لا شكّ أن الأخبار الواردة من جبهات القتال في بداية الحرب شكلت قلقا كبيرا لدى العائلات الجزائرية على مصير أبنائها المرشحين للخدمة العسكرية.

وعلى هذا الأساس، شهدت بلدية معسكر المختلطة احتجاجات بطريقة سلمية في البداية للتعبير عن رفض الجزائريين الزج بأبنائهم في حرب لا علاقة لهم بها، لتتحول فيما بعد إلى حوادث خطيرة تمثلت في مشادات واشتباكات بين قوات أمن الاحتلال والمتظاهرين أثناء عملية الفحص الطبي والانتقاء، وعلى إثر ذلك اجتمع أعيان قرية سيدي دحو في يوم 29 أوت 1914 المصادف لعيد الفطر عند ضريح سيدي علي بن عثمان قرب عين فارس، واتفقوا بالإجماع على رفض التجنيد الإجباري، وقد لقي القرار تأييدا من قبل سكان بابا علي في معسكر، وعرش الفراقيف، والبرج، والفليتة، وفي 22 سبتمبر قرّر سكان بني شقران، والمجاهر، والحشم والغرابة الالتحاق بالحركة الاحتجاجية، وكتبوا عريضة تعهدوا فيها بعدم تسليم أبنائهم للتجنيد، وإعلان الجهاد[15].

وحسب الاتفاق، فقد رفض مجموعة من شبان قرية سيدي دحو في يوم 27 سبتمبر الاستجابة لاستدعاء المتصرف الإداري لحضورهم عملية الإحصاء، فقامت إدارة الاحتلال باعتقال ثلاثة عشرة من أعيان القرية لمدة خمسة أيام، وعند اقتيادهم إلى السجن، هرب ستة منهم في حين حاول السكان تحرير الآخرين، فاشتبكوا مع قوات أمن الاحتلال ورموهم بالحجارة[16]، وعندما شعرت إدارة الاحتلال بخطر هذه الحركة الاحتجاجية، قررت في يوم 05 أكتوبر تنظيم قوة عسكرية لمرافقة المتصرف الإداري برونقروبر Pruengueber مشكلة من خمسين عسكري لإرهاب سكان قرية الفراقيف، ولفرض سياسة الأمر الواقع، وإرغام الشبان على الامتثال لقرار الإدارة بخصوص عملية الإحصاء، فرفض أعيان قبيلة أولاد الشيخ ذلك، وناد الثوار بالجهاد، فنصبوا فخا لجنود الكتيبة الفرنسية، وأطلقوا النار عليهم عند اقترابهم من القرية[17]. وفي اليوم الموالي، شرع جيش الاحتلال في قمع الانتفاضة، فحشد قوة عسكرية قوامها 1500 رجل جلبهم من شلف(Orleansville) ، معسكر، ومستغانم بقيادة الجنرال لاربيLarbet ، فاقتحموا دوار الفراقيف، وقصفوا المسجد، وسلبوا ما عند الناس من حبوب، وفي يوم 08 أكتوبر اتجهت كتيبة عسكرية إلى قرية بني نسيغ، واعتقلت مجموعة من الرجال، وصادرت بعض الأسلحة، وفي 12 أكتوبر حاصرت بني خنيس، وتواصلت عمليات التمشيط إلى غاية أواخر الشهر، وبذلك انتهت الحوادث

باعتقال واحد وعشرين ثائرا تمت محاكمتهم في المحكمة العسكرية بوهران من 08 إلى 10 ديسمبر 1914 بتهمة التمرد على السلطة، والقتل ومحاولة القتل، فقضت عليهم بأحكام متفاوتة، أربعة عشرة منهم حُكم عليهم بالإعدام، وستة بالسجن لمدة تتراوح من ستة إلى عشرين عاما، واستفاد واحد من الحكم بالبراءة[18].

إن رد فعل فرنسا العنيف ضد ثورة بني شقران في بدايتها، وحشد قوات عسكرية لقمعها في مهدها، والحكم على مفجريها بالإعدام، ما هو إلا استعراض القوة أمام الشعب الجزائري الذي قد يغتنم–حسب السلطات الاستعمارية – فرصة انشغال فرنسا بالحرب الأوروبية ليعلن استقلاله، وعلى الرغم من ذلك، فإن منطقة الغرب الجزائري قد شهدت اضطرابات أخرى من حين لآخر خلال فترة موضوع الدراسة، ففي البلدية المختلطة تلاغ سُجلت بعض الأعمال التخريبية كانتشار الحرائق في غابة سفيون في 05 أوت 1914 [19]، وفي نفس السياق شهدت البلدية المختلطة عين تموشنت حركة احتجاجية بقيادة الأخوين **بوتويزرة** بعد فرارهما من الجش الفرنسي، واغتيالهما للعسكريين دي لوجي ريكول D .L. Roucoules، وشيسنو Chesneau، في يوم 26 سبتمبر 1915 عندما حاولا القبض على الأخوين، وذلك ما نشرت تفاصيله جريدة صدى وهران l'Echo d'Oran في عددها بتاريخ 28 سبتمبر 1915 تحت عنوان "**فاجعة واد أغلال**"، وكنتيجة لصدى الموضوع تلقى محافظ عمالة وهران أمرا من الحاكم العام لوتو Ch. Lutaud بالبحث عن الأخوين الثائرين، فخصصت إدارة الاحتلال منحة 2000 فرنك لمن يلقي القبض عليهما، كما تشكلت قوة عسكرية تعدادها 900 رجل لملاحقتهما، وبذلك تحولت حركتهما إلى قضية أمن دولة بالنسبة للسلطات الاستعمارية، وثورة أبطال ضد الاستعمار بالنسبة للجزائريين[20].

لم يثن الإرهاب الاستعماري المقاومين الجزائريين، إذ أحصت إدارة الاحتلال في شلف 129 عملية ضد المستوطنين خلال سنتي 1915– 1916، بزعامة أحد المجندين الفارين من الجيش الفرنسي المدعو **عبد القادر بن محمد بلوعيد**، ولعل من أبرزها مقتل عسكريين في 28 نوفمبر 1916 وهما بون Pons، ودوفو Duveau، وبعد هذه الحادثة أرسلت إدارة الاحتلال كتيبة عسكرية لغرض زرع الرعب بين سكان البلدية المختلطة تنس، فاعتقل على إثرها 242 جزائري، أما زعيم الثورة عبدالقادر بن محمد، فقد فرّ إلى تلمسان، ومنها إلى المغرب ليلتحق بثورة الأمير عبدالملك[21] ابن الأمير عبدالقادر ضد الجيش الفرنسيي [22].

لقد مارست السلطات الاستعمارية سياسة الزجر والإرهاب، وتطبيق العقوبات القاسية ضد الجزائريين في بداية الحرب العالمية الأولى حتى لا يستغلوا انشغالها بالحرب ويعلنوا عن استقلالهم من جهة، وضمان تزويد الجيش الفرنسي بالرجال عن طريق عمليات التجنيد الاجباري من جهة أخرى.

2.2. انتفاضة الاوراس في الجنوب القسنطيني

عندما قامت الحرب العالمية الأولى، ظهرت بوادر رفض السياسة الاستعمارية لدى الجزائريين في الشرق الجزائري أيضا من خلال رفضهم لقرار التجنيد الإجباري، حيث تواصل الشغب في الشوارع، ففي جهة المدية تم رشق الحاكم الإداري الفرنسي بالحجارة، وجرح مساعده القايد الجزائري، ونفس الحوادث شهدتها منطقة سطيف، حيث تظاهر آلاف الجزائريين للاحتجاج ضد التجنيد الإجباري، وضد السياسة الاستعمارية، فاصطدموا مع قوات

أمن الاحتلال مستعملين المسدسات والعصي، وقد حذرت مجلة فرنسية محافظة من النتائج التي قد تنجم عن موقف الجزائريين ولا سيما بعد اختفاء الشبان المعنيين بالتجنيد، واعتصامهم بالجبال، واعتبر ذات المصدر أن ذلك يشكل خطرا على مستقبل الفرنسيين في المستعمرة[23].

لقد أصبح الهروب من الجيش الفرنسي، وما يترتّب عليه من انخفاض عدد الرجال في صفوفه لأداء الخدمة، ظاهرة متفشّية بين الجزائريين الذين عبروا من خلال ذلك على معارضتهم للسياسة الاستعمارية، ففي منطقة القبائل قام المدعو **طاطا ايدير** بتحريض سكان عزازقة على معارضة التجنيد، ودعاهم لمساندته، فالتحق به ستة عشرة شخصا في سنة 1915، وفي نفس الاتجاه سار الأخوين **قْزّول عيسى، وقْزّول حسين** بعد رفضهما تأدية الخدمة العسكرية، واعتصامهما بالجبال المجاورة، وحسب تقرير المتصرف الإداري للبلدية المختلطة عزازقة، فإن الأخوين استطاعا أن يكونا مجموعة من المتمردين في سنة 1917، حيث أصبحت تشكل خطرا على الأمن العام في المنطقة[24]. إن مثل هذه الحركات الاحتجاجية، والانتفاضات الشعبية أعادت فتح باب الجهاد ضد المستعمر الفرنسي ومقاومته خلال حرب 1914-1918، مستغلة في ذلك حصانتها الطبيعية المتمثلة في وعورة تضاريسها، وشهرة سكانها وقدرتهم على القتال وتحمل المشاق.

ولعل أبرز انتفاضة شهدها الشرق الجزائري خلال هذه الفترة، هي تلك التي قامت في الاوراس ما بين نوفمبر 1916 إلى ماي 1917، والتي أشاعت الذعر والهلع في أوساط المستوطنين، وتعود بوادر الانتفاضة إلى منتصف عام 1914 عندما بدأت إدارة الاحتلال بإحصاء الشبان الجزائريين من أجل التجنيد، وفي شهر أوت لاحظ حاكم البلدية المختلطة بريكة، البوادر الأولى للعصيان والتمرد، حيث فرّ 34 شابا من قرية السقانة إلى الجبال المجاورة خلال شهر سبتمبر، وأعلن سكان بلديات بريكة، بلزمة، وخنشلة، أنهم يرفضون جعل أبنائهم هدفا للمدافع الألمانية[25]، غير أن حاجة الجيش الفرنسي للرجال في هذه الفترة جعلت السلطات الاستعمارية تمضي قدما للدفع بعملية التجنيد، فاستدعت 123 شبا في سنة 1914، وفي السنة الموالية شابا 246، و506 رجلا خلال عام 1916م للمثول أمام لجنة الانتقاء، كما تطور عدد المتطوعين في السنوات ذاتها من 75 رجلا إلى 138، ثم إلى 419 متطوعا[26].

وعندما توجه زانيتاكسي Zannetacci عمدة البلدية المختلطة بريكة في يوم 24 سبتمبر 1916 إلى قرية مطكوك لإرغام الشباب المرشح للخدمة العسكرية على الخضوع للفحص الطبي، أبدى السكان رفضا قاطعا تسليم أبنائهم، وصرحوا أنه من الأفضل لهم أن يموتون ويدفنون في الجزائر، بدلا من فرنسا[31]، وبنفس القناعة عبّر أحد المثقفين الجزائريين بقوله: "... **لقد أرسلت فرنسا أبناءنا إلى الجحيم، ووضعتهم في الصفوف الأمامية لجبهات القتال، ثم لماذا نحارب ألمانيا، ألأن فرنسا دفعتنا لمواجهة شعب ليس بيننا وبينه أي عداوة...** "[32].

كان من البديهي في خضم هذه الظروف الصعبة أن تنتفض المناطق المجاورة، فتم مهاجمة المستوطنين وممتلكاتهم، إذ أحصت التقارير الأمنية في الفترة الممتدة من 25 أكتوبر إلى 08 نوفمبر 1916 أزيد من سبعة عشرة عملية اغتيال ضد المستوطنين، كما شهدت خنشلة وعين البيضاء حوادث مماثلة استهدفت بعض الجزائريين

المتعاونين مع إدارة الاحتلال، والكلون وممتلكاتهم ، ومن بين الثوار الذين ذاع صيتهم في هذه الفترة، وسببوا قلقا كبيرا للإدارة الاحتلال، نذكر الثائر بن علي محمد بن النوي من متليلي الذي اتخذ من جبالها مركزا له [33]، وكذلك علي بن أحمد بن زلماط، وأخوه مسعود اللذان نالا شهرة واسعة في منطقة الاوراس، وصارت بطولاتهما مصدرا للأغاني الشعبية والثورية، ومحل قلق وخوف لدى المعمرين على أرواحهم وممتلكاتهم.

وفي نفس السياق، هاجمت مجوعة من الثوار في ليلة 11 نوفمبر مزرعة المستوطن قرانجيي Grangier في بلدية بريكة، كما قاموا بقطع خط الهاتف الرابط بين بريكة ونقاوس، وفي نفس الليلة هاجم سكان أولاد عوف برج ماكماهون Mahon-Mac مقر بلدية عين التوتة بقيادة كل من المقدم محمد بن الحاج بلوديني، ومحمد بن النوي، فأحرقوا البرج وقتلوا المتصرف الإداري كاسنلي Cassinelli وحاكم مقاطعة باتنة، وفي 18 ديسمبر هاجم حوالي 100 رجل من أولاد صبيح ببلدية القصر (قرية الشمرة القديمة)، وأحرقوا بعض المزارع وقتلوا عددا من الناس، وفي اليوم الموالي هاجموا عين كرشة، وعين الفكرون[34]، وحسب تقرير اللجنة البرلمانية للتحقيق، فإن انتفاضة الاوراس شملت ما بين 20–30 قرية من أصل 113 قرية خاضعة إداريا لمقاطعة باتنة، وإذا علمنا أن عدد سكان 20 قرية هو 75068 نسمة، فإن نسبة المنتفضين تقدر ب 22% من مجموع سكان المقاطع[27]، غير أن هذه الإحصائيات تظل محل شك لأن مصدرها جهات أمنية (ضباط الاستعلامات) التي تسعى خاصة في هذه الفترة إلى المحافظة على معنويات الجيش الفرنسي، وذلك بتقزيم حجم المقاومة، إلا أن الفارين من الجيش الفرنسي الذين قادوا الانتفاضة أن ولاء الجزائريين الذي ادعته إدارة الاحتلال مع بداية الحرب لم يكن سوى فصلا من فصول دعايتها للحرب.

لقد واجهت السلطات الاستعمارية هذه الانتفاضة بقمع عنيف، وذلك بحشد قوات عسكرية تعدادها ستة (06) آلاف جندي تابعين للطابور السنغالي كانوا متمركزين في مدينة بسكرة كُلفوا في البداية بحماية مراكز الاستيطان في كل من بارنيل Bernelle (قرية واد الماء) كورناي Cornelle (قرية مروانة)، وباستور Pasteur (قرية سريانة)، ثم قامت هذه القوات معززة بعناصر من فرقة الزواف بمداهمة بلدية بلزمة، فأحرقوا القرى المجاورة، وأفرغوا المطامير وسلبوا ما بها من حبوب، ومنها شرعوا في ملاحقة الثوار [28]. وفي ذات السياق، طالب الحاكم العام من قيادة الجيش تعزيزات عسكرية، فأرسلت إليه لواء المشاة من أوروبا، وبذلك أصبح مجموع القوات المسخرة للقضاء على انتفاضة الاوراس يتراوح ما بين 13 ألف إلى 16 ألف جنديا، و275 ضابطا، ومع استكمال تجهيز القوة العسكرية، شرع الجيش الفرنسي في عملية تمشيط المنطقة، وإقامة الحواجز، وقصف القرى الثائرة بسلاح المدفعية، واحتجاز أهالي الثائرين كرهائن، وإتلاف مطامير الحبوب، كما حلّقت طائرات حربية من نوع فارمان Ferman على المناطق المنتفضة، ليبدأ بعدها قصف المواقع المشكوك فيها، ودام الوضع على حاله لمدة خمسة أشهر[29].

كما اعتمدت السلطات الاستعمارية على الحرب النفسية للنيل من معنويات الثوار، حيث وصف الحاكم العام لوتو الانتفاضة في البداية أنها لا حدث، وأن الإدارة مستعدة للصفح عن المتمردين شريطة توقفهم فورا عن

نشطاهم التخريبي، وبسبب التفوق العسكري الفرنسي، انتهت الحركة الاحتجاجية في بداية شهر ماي 1917 باعتقال 2904 جزائري، قدمت منهم 825 شابا قاصرا إلى محاكم تأديبية، وإحالة 165 راشدا على مجلس قضاء قسنطينة، فأدانت المجالس التأديبية 805 شابا وحكمت عليهم بما مجموعه 715 عاما، وتغريمهم بـ 22810 فرنك، وفي ذات السياق حكمت محكمة باتنة على 45 جزائري بما مجموعه 70 عاما سجنا[30]. لم تصل الحركة الاحتجاجية إلى النتائج المرجوة، وذلك لعدة أسباب نوجزها فيما يلي:

- عدم بروز قيادات عسكرية جزائرية تجمع من حولها الجماهير الشعبية، وقد يعود ذلك إلى فقدان بعض العائلات الكبيرة لمكانتها السياسية والاجتماعية منذ تحالفها مع الاستعمار الفرنسي.
- انكماش الثورات على نفسها، وعدم تناقل أخبارها داخليا وخارجيا.
- ضعف التضامن القبلي بحيث امتنعت بعض القبائل عن المشاركة في الانتفاضات المسلحة.

مهما كانت أسباب فشل هذه الثورات، فإن الجزائريين قد عبروا عن عدم التزامهم بقرارات إدارة الاحتلال، كما أنهم أسقطوا الدعاية الاستعمارية بخصوص الولاء لفرنسا.

3.2. العمل المسلح في أقاليم الجنوب

أدى تطور الأحداث في المنطقة قبيل الحرب العالمية الأولى أخلط حسابات القوى الفاعلة، خاصة بعد انسحاب تركيا من ليبيا في عام 1912 لصالح الايطاليين، واستمرار المواجهة بينهم وبين الحركة السنوسية المتحالفة مع القبائل المحلية في جانيت، وبعد اندلاع الحرب في سنة 1914، تمكن السنوسيون من طرد الايطاليين من منطقة فزّان المحادية للصحراء الجزائرية، مما أرغم الايطاليين في غدامس وغات الليبيتين اللجوء إلى داخل الجزائر خلال شهر ديسمبر للحصول على المؤونة ثم العودة إلى ليبيا بعدما وجدوا تسهيلات من قبل الفرنسيين، على أمل أن يكونوا حاجزا أمام الأخطار التي قد تهددهم (الفرنسيون) من الجهة الشرقية من قبل السنوسيين الذين أعلنوا الجهاد في شمال إفريقيا وكامل الصحراء [31].

وهو نفس القرار اتخذه سكان الهقار خلال سنتي 1915 و1916 حيث أعلنوا الثورة ضد الفرنسيين بعدما قام في جويلية 1915 أحد أعيان قبائل آزجر المدعو **آمود** بتشكيل قوة عسكرية في غات الليبية بمساعدة **عبدالسلام عبد الرزوق** –أحد أبطال معركة فزّان ضد الايطاليين– ، وكخطوة أولى قام الثوار بحملات استطلاعية حول مناطق تواجد الفرنسيين[32]، ومنذ أواخر شهر جانفي 1916، انطلقت استعداداتهم في غات لمهاجمة الفرنسيين، وفي صبيحة 04 مارس تحصل الضابط الفرنسي لابيير Lapierre قائد حامية جنات على معلومات مفادها أن مجموعة من المسلحين بالبنادق (400رجل)، وبعض قطع سلاح المدفعية قد تجمعوا حول محيط جانيت مند البارحة، وفي نفس اليوم شرعت مدافع الثوار من عيار 65 ملم في قصف حصن تمركز الفرنسيين، وأمام هذه الضربات، أرسل القائد الفرنسي لابيير في ليلة 09 مارس بريدا سريعا مع عنصرين لطلب النجدة من النقيب دوكلو Duclos المتمركز في بولينياك Polignac (مدينة اليزي)، الذي أمدّه بقوة عسكرية تعدادها 120 جندي[33].

وقبل وصول المدد إلى الضابط لابيير، أخذت معنويات الفرنسيين المُحاصرين تضعف بعد أن قلّ لديهم الماء والمؤونة، والذخيرة الحربية، وبعدما تأكد قائد الحصن أن المقاومة غير مجدية، قام في 24 مارس بإتلاف مدفع الحصن من عيار 80 ملم حتى لا يقع في أيدي الثوار، كما طلب من جنده إحراق أسلحتهم استعدادا للانسحاب نحو حصن بولیناك، وفي اليوم الموالي عندما علموا بأن قافلة النجدة متجهة نحو جانيت، قرر الضابط لابيير العودة للانضمام إليها، غير أنه فوجئ بالثوار يحاصرونه من كل جهة، فالتحق أغلب عناصره بالثوار، ولم يبق معه سوى المدعوين **بوعزة، بن عبدالقادر، بن الدين محمد، ومحمد بن مويسة الورقلي**، وكلهم وقعوا في الأَسر، وفي 26 مارس وصل النقيب **دوكلو** إلى مشارف جانيت من الجهة الغربية، ثم أمر جنده بمواجهة السنوسيين، غير أن الثوار باغتوه بوضع مدفعين في هذه الجهة، ففتحوا النار على الجنود الفرنسيين الذين سقط العديد منهم، بينما فرّ قائدهم، وبذلك تم تحرير جانيت، ورفع العلم التركي على الزاوية السنوسية [34] .

وبعد هزيمتهم في جانيت، سارع الفرنسيون إلى تشكيل قوة عسكرية انطلاقا من قواعدها الخلفية في غرداية، ورقلة، وتقرت من أجل محو آثار انكسار فرنسا من جهة، وقطع الطريق أمام نقل الثورة إلى الهقار من جهة أخرى، وعليه خاضت الكتيبة الفرنسية معركة مع الثوار في يوم 12 ماي في قصور جانيت، واستعادتها منهم، وانسحب الثوار إلى غات في الشمال الشرقي، إلا أن هذا التراجع ليس الغرض منه التفريط في جنات، بل كان من أجل إعادة تنظيم الصفوف، واعتماد أسلوب حرب العصابات، فمن شهر ماي إلى شهر أوت نفذ الثوار العديد من العمليات ضد برج اليزي (بولينياك)، وألحقوا خسائر هامة بعناصر الحامية الفرنسية، وبذلك أصبح الطريق مفتوحا أمام الثوار إلى الهقار.

كان مقتل الراهب شارل دي فوكو Ch. D. Foucauld[35] في 01 ديسمبر 1916من طرف الثوار الطوارق بسبب نشاطاته التنصيرية والاستخباراتية المشبوهة بداية الثورة في الهقار، ومعظم أنحاء الصحراء الكبرى، فقد تركت الحادثة أثرا عميقا في نفوس الفرنسيين، إذ شعروا بخطر الثورة على مصالحهم، فأرسلت قيادة جيش الاحتلال تعزيزات عسكرية في 27 ديسمبر إلى المنطقة بقيادة الملازمين واترين Watrin، ولخضر، لحماية حليفهم موسى آق أمستان الذي خرجت عن طاعته العديد من العائلات والقبائل من بينها أنامبا، سورى آق شيخات صهر أنامبا، المودن ولد أكلسو، بخة ولد تمنة ولد بخة، احمد ولد الشريف، وحمة ولد وا[36]، ومواجهة الثائر التارقي خاوسن أحد كبار ضباط الحركة السنوسية، وقائد المقاومة في إقليم الابير جنوب الهقار، ونظرا لخطورة الوضع على الفرنسيين في الصحراء، خاصة بعد هجوم الثورة على معسكرهم في أقاديز Agadez في شمال النيجر، أسندت القيادة في 27 جانفي1917 إلى الجنرال لابيرين Laperrine الذي أصبح مسؤولا على مناطق واسعة من الجنوب[37].

وخلال شهر أفريل قاد الثوار الطوارق بزعامة **إبراهيم آق أبا داكة** معركة ضد القوات الفرنسية في عين الحجاج بعد أن انسحبت إليها من قلعة فلاتر (تماسنين)، وقتلوا 12 رجلا من بينهم الطبيب فيرمال Vermale، وفي الشهر الموالي هاجم أحمد سلطان قلعة فلاتر، وقتل عددا من جنودها، وفي نفس الفترة خاض ثوار توات

في الجنوب الغربي معركة الكدية ضد قبائل ايمراد، وعلى رأسهم اكلان تاوسيت، الرقناتن، وقسم من أسو كمارن، ومن جهة تيفديست (كيل عين غاغ، كيل امجيد) [38] الموالية للفرنسيين، وبسب ضغط الضابط الفرنسي دي بوميي De Pomier على **الامينوكال** للتعاون معه ضد الثوار، استطاع اقتحام قلعة موتيلينسكي Motylinski شرق تمنراست، كما استطاع الامينوكال إخضاع باقي الهقاريين لسلطته، وسلطة الفرنسيين، وهكذا اضطر معظم ثوار الطوارق إلى الاستسلام خلال شهر أوت، وأرسلوا وفدا عنهم إلى عين صالح لطلب الأمان من لابيرين[39].

يتضح إذن بعد عرضنا لهذه الأحداث، أن مقاومة أهل الهقار للاستعمار الفرنسي لم تتوقف طيلة فترة الحرب العالمية الأولى، حيث استغلوا دعم كل من الألمان والأتراك والسنوسيين لهم، غير أن الضعف أخذ يدب في أوصالها حتى باتت سيطرتها على القبائل التارقية تضعف بالتدريج.

3. علاقة الدعاية الألمانية التركية بالعمل المسلح في الجزائر

أدركت ألمانيا أن مستقبل اقتصادها يكمن في المحافظة على بقاء الدولة العثمانية، على الرغم من عزم بريطانيا على إبعادها عن الولايات العثمانية، وفي ظل تزايد ضعفها تطلعت الدولة العثمانية (الرجل المريض) إلى ألمانيا لتكون حليفتها ضد الدول الاستعمارية، خاصة وأن صفحتها مع العثمانيين كانت بيضاء على عكس صفحة بريطانيا، فرنسا، وروسيا التي اقتطعت من الخلافة خلال القرن التاسع عشر أجزاء كثيرة، وعليه فإن التقارب الألماني العثماني أوجدته المنفعة المتبادلة بين الطرفين، فألمانيا سعت من خلال ذلك إلى تعبئة المسلمين في المناطق الخاضعة لسيطرة الأعداء، وتحريضهم ضدهم في حالة نشوب صراع دولي، أما الدولة العثمانية، فهدفها من هذا التقارب هو إعادة بناء قوتها العسكرية بالاعتماد على المساعدات الألمانية واسترداد ما فقدته من ممتلكاتها.

عملت ألمانيا منذ بداية الحرب على توظيف مشاعر المسلمين وعواطفهم الدينية، وطموحاتهم وتطلعاتهم الوطنية في التحرر والتخلص من الاستعمار، إذ كتب أحد الفرنسيين في سنة 1915 أن ألمانيا قد بدأت دعايتها في الجزائر منذ 1900 بمحاولة تدعيم علاقاتها مع الشعب الجزائري، ومنذ 19 مارس 1913 أوضحت ألمانيا أن هدفها كان المساعدة على إحداث ثورة عامة في كامل إفريقيا الشمالية ضد فرنسا، ففي مذكرة نشرت في ذلك التاريخ تضمنت خطة لتمكين ألمانيا من خلالها تحريك الزعماء الدينيين والسياسيين ضد فرنسا، وفي الرابع من أوت 1914 قام الألمان بقصف مدينة عنابة وسكيكدة بواسطة السفينتين "**بريسلو**" و"**غوين**" ثم انسحبتا إلى المياه التركية، فترك ذلك انطباعا لدى الجزائريين أن ألمانيا ماضية في تحقيق وعدها للمسلمين بإحداث ثورة في كامل إفريقيا الشمالية ضد فرنسا[40] .

وعلى الصعيد الإعلامي، قامت الدعاية الألمانية بطبع منشورات ذات مضامين تحريضية ضد فرنسا في شمال إفريقيا عامة، والجزائر خاصة، وعادة ما كانت هذه المنشورات تصل إلى الجزائر عن طريق الجنوب إذ يتم نقلها من جانيت بعد وصولها من غدامس الليبية، ومنها إلى عين صالح، ثم إلى غرداية، ومن هناك نحو مدينة الجزائر، قسنطينة، وهران ومستغانم، وقد رصدت تقارير إدارة الاحتلال توزيع سبعة عشرة (17) منشورا

في الجزائر ما بين أكتوبر 1914 إلى ديسمبر 1916، ثلاثة منها طُبعت في اسطنبول، والبقية في برلين[41]، ففي إحدى المنشورات الصادرة عن الدعاية الألمانية الموجهة إلى المجندين المسلمين نقرأ "**احتقار الدين الإسلامي في الصفوف الفرانساوية**" كرد على ما ورد في الصحافة الفرنسية التي ادعت حسن معاملة المجندين المسلمين في الجيش الفرنسي حيث يذكر المنشور معاناة الجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي من التمييز العنصري، إذ تساءل صاحب المنشور عن سبب التمثيل غير العادل للطوائف الدينية في الجيش الفرنسي، من خلال إصرار القيادة على تواجد القس والحاخام برتب عسكرية في جبهات القتال إلى جانب الجنود المسيحيين واليهود، في حين حُرم المجند المسلم من مرافقة الإمام له[42]، وفي نفس السياق حثت جريدة "**دار السلام**" الصادرة باللغة العربي المجندين المسلمين على الفرار من الجيش الفرنسي والالتحاق بالجيش العثماني، بالإضافة إلى جريدة "**الواجب**" الصادرة باللغة الفرنسية والتي سعت إلى إبراز عظمة القوة الألمانية، والإسلام، كما نددت بالمواقف الانجليزية والفرنسية[43].

ومن الجزائريين الذين تعاونوا مع الاستخبارات الألمانية في هذا المجال، نذكر الملازم الأول **الحاج عبد الله بوكابوية** الذي فر من الجيش الفرنسي، حيث كان لكاتبه "**الإسلام في الجيش الفرنسي**" وقع كبير في صفوف المجندين، إذ تعرض فيه إلى التمييز العنصري بين الجزائريين وبين الجنود الفرنسيين داخل الجيش، كما أشار في كتابه كذلك إلى تلك الإهانات العنصرية التي تلقاها المجندون الجزائريون من قبل الضباط الفرنسيين، حيث يقول في هذا الشأن: "... **فقادة الفرق العسكرية كانوا دائما يرددون عبارة (أنتم مستأجرون أيها الخنازير) عندما يخاطبون المجندين الجزائريين...**"[44] ، لقد أدت كتابات الحاج عبد الله بوكابوية التحريضية وما رافقها من عمليات أَسر المجندين المغاربة من قبل الألمان إلى حدوث نزيف في صفوف الجيش الفرنسي.

وبالمقابل فقد سعت الدعاية الألمانية إلى نشر مواقف ألمانيا المتسامحة مع المغاربة، فعاملت الأسرى الجزائريين معاملة مميزة، حيث أبقتهم في معسكر الهلال بزوسن Zossen بضواحي برلين، بعدما زودتهم ببدلات عسكرية تركية، كما عملت على تحسين ظروف معيشتهم، وبنت لهم مسجدا وسمحت لهم بممارسة شعائرهم الدينية، وإقامة صلاة الجمعة، وفصلتهم عن ضباطهم الفرنسيين، وعينت ضباطا ألمان يتحدثون باللغة العربية للإشراف عليهم[45]، وهو ما أشار إليه أحد الأسرى في رسالته إلى والده حيث قال: "... **صحتي جيدة وليس لي خدمة شاقة أقوم بها، لا يتآمر علينا احد عند دخولنا وخروجنا، بل الذين يحافظون علينا هم الضباط الأكابر وهم يعاملون معاملة الكريم لضيفه، حتى أننا لا نحس بآلام الأسر ولا بكربة الغربة...** "[46]، كان الهدف من وراء ذلك هو كسب ود العالم الإسلامي، وإعطاء الأسرى المسلمين، والجزائريين خاصة (لأنهم يمثلون الأغلبية في صفوف الجيش الفرنسي) الانطباع أنهم ليسوا مُعتقلين، بل هم ضيوفا على ألمانيا، وبالتالي إقناعهم بالانضمام إلى الجيش التركي، وبذلك تكون ألمانيا قد استغلت الأسرى سياسيا[47]. وإذا ما تمعنا في بعض المنشورات، والصحف، والكتيبات الدعائية، لوجدنا أن المانيا سعت من وراء توظيفها لمشاعر المسلمين، وتطلعاتهم الوطنية إلى ضرب المصالح البريطانية والفرنسية في بلاد الإسلام. ومهما يكن من أمر، فإن الدعاية الألمانية – التركية

ضد المصالح الفرنسية في الجزائر كان أثرها محدودا، فالدعوة إلى الجهاد التي أصدرها بعض مشايخ المسلمين، والنداء الذي أعلنه السلطان العثماني، لم يكن له أثر كبير إلا في بعض المناطق، إذ أن ثورة بني شقران سنة 1914 ضد التجنيد الإجباري كانت جهادا، ولكن في إطار وطني ضد السياسة الاستعمارية الفرنسية رغم ما راج من أخبار بخصوص انهزام فرنسا أمام ألمانيا، وأن هذه الأخيرة ستعيد الجزائر إلى أصحابها، وستعفيهم من الضرائب، وستعيد الأراضي المصادرة لمالكيها الأصليين[48].

لم يثبت أن للمقاومة علاقة بالدعاية الألمانية– التركية، رغم الإشاعات التي راجت في الأوساط الشعبية ونفس الشيء يقال عن ثورة الأوراس سنة 1916، حيث أن التقارير الأمنية أرجعت الحركات الاحتجاجية التي عرفتها الجزائر خلال الحرب العالمية الأولى إلى الدعاية التركية تارة، وإلى التحريض الأجنبي تارة أخرى على يد الجواسيس، فحسب إدارة الاحتلال، أن الثورة في الاوراس كان من وراءها مجموعة من الآباء البيض الالزاسيين المتعاطفين مع الألمان، وفي نفس السياق، أشار تقرير رسمي إلى وجود بحارة ألمان في منطقة تيقزيرت (ولاية تيزي وزو) كجواسيس لصالح الدعاية الألمانية [49].

وعلى أي حال، فإنه لا يمكن إنكار المساعدات التي قدمتها الحركة السنوسية للثوار في الجنوب الجزائري التي استفادت بدورها من دعم عسكري هام من الألمان والعثمانيين لمواجهة الفرنسيين والايطاليين في المنطقة[50]، كما لا يمكن أيضا إنكار تأييد الجزائريين للأتراك في حربهم إلى جانب الألمان ضد دول الوفاق رغم الرقابة الإدارية الشديدة التي فرضتها الإدارة الفرنسية في الجزائر خلال الحرب وفق قانون الطوارئ، حيث عكس الأدب الشعبي مساندة الجزائريين للألمان والأتراك، ففي سطيف حذرت إدارة الاحتلال من أغنية راجت في الأوساط حول ضعف فرنسا، واقتراب نهايتها أمام القوة الألمانية والتركي[51] ، ومن الإشاعات التي انتشرت في هذه الفترة أن القيصر الألماني غليوم الثاني Guillaume II قد اعتنق الإسلام، حتى لقّبه الجزائريون الحاج ڤيوم[52]، ونظموا أغاني شعبية للإشادة بانتصاراته على فرنسا، فبعد هزيمة الفرنسيين في معركة شارل لوروا انتشرت أغنية بين الجزائريين تعبر عن فرحتهم بهزيمة الفرنسيين هذا مطلعها[53]:

يااللفرنسيس واش فيبالـك # الجزائـرماشـــيديالـــــك[54]

يجي لالمان يديهـالـــك # لابد ترجـــع كيـف زمـــــان[55]

أي أي كـي نعمـل لـــــه # الحاج ڤيوم يطلع سعـــده[56]

لقد انتشرت هذه الأغاني في مختلف القرى والمدن الجزائرية، كما أنها أسهمت في تقويض الفكرة التي كانت سلطات الاحتلال تسعى إلى تثبيتها في الأذهان منذ بداية الحرب، وهي ولاء الجزائريين للوطن الأم فرسا، وهي أيضا (الأغاني الشعبية) تعبيرا عن الظروف العامة، حيث كانت مواكبة لأحداث الحرب، وما نتج عنها من قهر ومآسي لدى الجزائريين على أبنائهم الذين أُقحموا في حرب لا تعنيهم، مما أدى بهم إلى القيام بثورات قادها في معظمها الفارين من الجيش الفرنسي.

خاتمة

يتبين من خلال ما سبق عرضه، أن الدعاية الألمانية التركية قد فشلت في تحقيق أهدافها في الجزائر، فالإستراتيجية الفرنسية هزمت المشروع الألماني في شمال إفريقيا، الذي بقي من دون تأثير عملي، حيث نجحت فرنسا في استغلال التناقضات بين تحالف الخلافة الإسلامية مع قوى مسيحية **(ألمانيا والنمسا)** الداعية "**للجهاد**"، مما نزع عن ذلك النداء الصفة الشرعية الضرورية لإنجاح المشروع، بل شكل سلاحا بيد فرنسا لمهاجمة الدولة العثمانية واتهامها بأنها متحالفة مع دول مسيحية.

اتضح لنا من خلال تتبعنا لنشاط الدعاية الألمانية العثمانية، أن ألمانيا خلال الحرب اكتفت باستقطاب الشخصيات العربية والإسلامية عندها لاستخدامهم في حملاتها الدعائية، معتبرة إياهم مجرد مصادر للمعلومات أو وسائل لدعايتها، وليس حلفاء، فمعظم كتاباتهم كانت تخضع لمراقبة الاستخبارات.

تميزت الدعاية الألمانية بالسطحية، فعلى الرغم من سمعتها في المنطقة منذ مطلع القرن العشرين، باعتبارها منافسا لفرنسا، إلا أن مشروعها فشل في إيجاد زعامة بارزة. وهو نفس المصير الذي لقيه النشاط الدعائي للدولة العثمانية والمتمثل في إنتاج ثورة جزائرية في إطار الجامعة الإسلامية، فحتى الحركة الاحتجاجية التي شهدتها الجزائر خلال الحرب كانت تحت راية الوطنية.

ومن جهة أخرى لا يمكن إنكار تأييد الجزائريين للعثمانيين في حربهم إلى جانب الألمان ضد دول الوفاق رغم الرقابة الإدارية الشديدة التي فرضتها الإدارة الاستعمارية، ففي الجنوب الجزائري استفاد الثوار من دعم الحركة السنوسية التي تلقت تعزيزات عسكرية هامة من الألمان والعثمانيين لمواجهة الفرنسيين والايطاليين في المنطقة.

لقد كانت وتيرة الحرب الدعائية تتصاعد، كلما حققت القوات الألمانية انتصارات ضد دول الوفاق، ذلك ما كان يعطي للجزائريين انطباعا باقتراب موعد الخلاص من الاستعمار الفرنسي، كما كان يشجعهم على الانتفاضة ضد الوجود الفرنسي بواسطة حرب العصابات منذ بداية الحرب العالمية الأولى، والتي نجحت في سنة 1916 في فتح جبهتين إحداهما في إقليم الأوراس في الشمال، والثانية في إقليم الهقار في الجنوب.

تمكنت السلطات الاستعمارية من خلال نشاطات الدعاية الفرنسية المضادة من إفشال خلق ثورة فعالة في الجزائر بالاعتماد على الطرق الصوفية الموالية لها في شمال إفريقيا عامة والجزائر خاصة.

الهوامش:

1- أبو القاسم سعدالله، **الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930**، ج2، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص 252.

2 – في سنة 1845 قدم الجنرال موليار MOLLIERE مشروعا يرمي إلى تجنيد 20000رجل، غير أن المشروع لم ينجح بسبب غياب سجلات الحالة المدنية الخاصة بالجزائريين، ومشروع كل من الجنرال **إستارزي** ESTERHAZY في سنة 1857 الذي طالب من كل قبيلة تقديم عدد محدد من شبابها، وفي نفس الاطار تقدم الجنرال **مارتامبري** MARTIMPREYفي 23 جوان 1864 بمشروع يلزم شيوخ القبائل بتزويد الجيش الفرنسي بـ 5000جزائري، وفي بداية القرن العشرين برز مشروع **شوتون** CHAUTEMP في سنة 1900 لتشكيل فرق احتياط من الجزائريين، وفي السنة الموالية طالب مقرر ميزانية الحرب **ريبارتي** M.RAIBERT ضرورة تغليب مصلحة فرنسا بالإسراع في تطبيق الخدمة العسكرية على الجزائريين:

A.N.O.M, Série H, Boite 9h63, Le Service Militaire Des Indigènes En Algérie.

3-A.N.O.M. Série H, Boite 3H56 Lettre de Messimy, A Monsieur le ministre de la Guerre.

4 -A.N.O.M, Série H, Boite 3h68, L'application Des Nouveaux Décret Concernant Le Recrutement des Indigènes.

5- A.N.O.M., Série H Boite 3h63, Les Origines De La Question.

6 -Gilbert Mynier, **L'Algérie Révélée La Guerre De 1914-1918 Et Le Premier Quart Du XXe Siècle**, Librairie Droz Genève 1981, p 393.

7- A.N.O.M., Série G.G.A, Boite 3H 14-16, Note Sur Le Service Militaire Des Indigènes En Algérie .

8 -بلغت كمية الحبوب (قمح وشعير) الموجهة نحو فرنسا طيلة فترة الحرب 5,7 مليون قنطار، منها 03,23 مليون قنطار من القمح، و2,4 مليون قنطار من الشعير، (ينظر: الاجنف مانع، **المجندون المغاربة أثناء الحرب العالمية الأولى**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ، جامعة منوبة: السنة الجامعية، 2006-2007، ص 80.)

9 -شارل روبير، أجرون، **تاريخ الجزائر المعاصر من انتفاضة 1871إلى اندلاع حرب التحرير1954**، (تر: فاطمي وآخرون)، المجلد الثاني، دار الأمة، الجزائر،2008، ص 435.

10 - Antonin Palarier, **Le banditisme Rurale En Algérie A La période Coloniale (1870 année 1920)**, Histoire, Panthéon- Sorbonne, 2019, Paris, p 435.

11- Gilbert Grandguillaume, **une Medina de l'Ouest Algérien Nedroma**, R.O.M.M, N° 01, Volume 10, Année 1971, p67

12 - جريدة الحق الوهراني، (الأسبوعية)، ع 41، من 21- 1912/07/27.

13- Journal L'Echo D'Oran, n° 14794

14 - Gilbert Meynier, op. cit, P570

15 - يحيى بوعزيز، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، ج 2، ط الثانية، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، د ت، ص 36.

16 -Antonin Plarier, op. cit, p 507.

17 - يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص38.

18 - A. N.O.M, 9H16, État nominatif des indigènes jugés au cours des séances des 8, 9 et 10 décembre 1914 et résultats du jugement, 12 décembre

18. Gilbert Meynier, op. cit, p 571.

20- DJEGHLOUL Abdelkader, **Hors-la-loi, violence rurale et pouvoir colonial en Algérie au début du XXe siècle** : les frères Boutouizerat, R.O.M.M, volume 38, n°1, année 1984, p-p 38-42.

21 - ولد في دمشق في 1868، وهناك تعلم وتأثر بحركة الجامعة الإسلامية، وكان يحسن اللغة التركية والفرنسية، عين قائدا للشرطة الدولية في طنجة سنة 1906 (ينظر، أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، القسم الأول، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص107).

22- Antonin Plarier, op. cit, pp 426-427.

23 - أبو القاسم سعدالله، **الحركة الوطنية**، المرجع السابق، ص 189.

24- Antonin Plarier, op. cit, pp 442-443.

25 - يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص48.

26- Ch. R. Ageron, **L'Algérie Algérienne De Napoléon III à De Gaulle**, La Bibliothèque Arabe Sindbad, Paris, p 107.

27- Gilbert Mynier, op. cit, p 591

28 -ibid., p -p 594 -595.

29 -يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص 55.

30- المرجع نفسه، ص 58.

31 -Meynier (General) Et Lehuraux (Commandant) ،**La Guerre Sainte De Senoussya Dans L'Afrique Française (1915-1918)** ،R. A, Volume 83, Année 1939, P234

32- يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص 62.

33-Meynier (General) Et Lehuraux (Commandant), op. cit, p-p 235-236

34- يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص64.

35- هو الراهب شارل أوجين دي فوكو ولد ب ستراسبورغ سنة 1838، بعد من رواد الاستعمار الفرنسي في الصحراء، فبعد تخرجه من كلية سان سيير الحربية في سنة 1878 التحق بالجيش الفرنسي في الجزائر برتبة ضابط، غير أن سلوكه الفوضوي كان سببا في طرده من الجيش، وفي 1886 انضم إلى الكنيسة وانتقل إلى سوريا وفلسطين لممارسة مهمة التبشير، ثم عاد إلى الجزائر في 09 جوان 1901 ليعين قسا ويختار العيش في الصحراء الجزائرية (ينظر إلى: ابراهيم مياسي، **مقاربات في تاريخ الجزائر 1830-1962**، دار هومة، الجزائر، 2008، ص 210)

36 -عبد الحميد زوزو، **نصوص ووثائق في تاريخ الجوائر المعاصر (1830- 1900)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 131.

37 - Meynier (General) Et Lehuraux (Commandant), op. cit, p-p 274-275 .

38 -عبدالحميد زوزو، المرجع السابق، ص 131.

39 -يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص 66.

40 -أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية**، المرجع السابق، ص 525-253.

41 -Gilbert Mynier, op. cit, p 509

42 -A.N.O.M, Boite N° 9H6, Le Mépris De .La Religion Musulmane Dans L'armée Française

43 -Pascal le Pautremat, **La Politique Musulmane De France Au XX Emme Siècle**, maisonneuve Et Larose, Paris, 2003, P77.

44- Hadj Abdallah (Boukabouya), **L'islam Dans L'armée Française**, librairie nouvelle de Lausanne, 1917, p21.

45 - أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية**، المرجع السابق، ص ص256-257.

46 - A.N.O.M, Boite 9H6, (المراسلات بين اسير ووالده في هذه الحرب الحاضرة)

47 - كانت رسائل الاسرى الجزائريين من وإلى ذويهم تخضع للمراقبة من طرف مصالح الدعاية الألمانية، حيث وردت الملاحظة التالية بخصوص الرسالة السابقة : " ... **وإذا أمعنا النظر في الكتاب نجد بأن الاسراء (الاسرى) متفقون على حب الدولة الآلمانية وشاكرون لها أياديها البيضاء، رافعين أكف الضراعة إلى الله جلت عظمته بأن يتوج أعمال الدولتين (العثمانية والالمانية) الساعيتين في تخليص الاسلام والمسلمين من استبداد الطاغين**... " (ينظر إلى : A.N.O.M, Boite 9H6)

48- A.N.O.M, Boite 9H16, Rapport du chef de la brigade mobile, 8 octobre 1914.

49 - Gilbert Mynier, op. cit, p 509.

50- Meynier (General) Et Lehuraux (Commandant), op. cit. p 227 .

51 - A.N.O.M, Boite 9H6, Surveillance Politique Des Indigènes

52 - J. Desparmet, **La chanson D'Alger Pendant La grande Guerre**, R. A, Volume 73, Alger, Année 1932, p 55.

53- J. Desparmet, op.cit,p 75.

54 - أيها الفرنسيون ماذا يدور في بالكم؟ الجزائر ليست ملكا لكم.

55 - سيسترجعها الألمان ويعيدوها إلى أهلها.

56 - فما العمل إذا كان الحاج غليوم قد حالفه النصر.